



المراجع

1. أبو بكر بن خوسروف- الأستاذ. مؤنس نامه. ترجمة وملاحظات ر.م. علييف. باكو، 1991، ص 329-371.
2. أبو الريحان البيروني. المؤلفات المختارة. الجزء الأول، طشقند، 1957.
3. كالميكوف أ. حوبة. محضر جلسة الجمعية التركستانية لمحبي الأرخيولوجيا الثانية عشر، طشقند، 1908، ص 71.
4. نيكيتين ك. الروايات الشعبية في مركز ناختشوان لمحافظة يريفان. // مجموعة المواد الخاصة بوصف الأماكن والقبائل في القوقاز). تفليس، 1982، الإصدار 2، القسم 2، ص -107 120. 1882.
5. كريمسكى أ، آتاي م. سبعة من الشباب النائم في إفيس. "مؤلفات في علم الاستشراق، الصادرة عن معهد لازار للغات الشرقية"، الإصدار 41، موسكو، 1914.
6. سنيسارييف ت. ب. لغز داج يونس (قصة بحث واحد). الإثنوجرافيا السوفيتية. موسكو، 1978، ص 148-159.
7. حاجي حيد قدير زاده. أصحاب الكهف- قدسية، وتاريخية وأصل المعتقدات. باكو، 2002.

رواية تقول أنه في العصور القديمة كان هناك مدينة كبيرة بالقرب من أصحاب الكهف، وكان سكانها يستخدمون مياه نهر أركاس. وينبغي الإشارة إلى أنه في ناختشوان تسود العديد من الروايات المرتبطة بالملك داج يونس. وطبقا للبعض منها، فقد حكم أملاكه من داخل قلعة ضخمة عتيقة تقع فوق قمة جبل سوم، بالقرب من البلدة التي قامت في الفترة المبكرة للقرون الوسطى على الضفة اليسرى لنهر أركاس، والمُسماة "المدينة الميتة"، وهي تقع بالقرب من محطة نجرام للقطارات. وكما نرى، فإن الحكايات الدائرة حول أصحاب الكهف لا تخلو من بعض الجذور التاريخية المحددة. وحتى يومنا هذا، فما زال الناس يقولون في بعض الأماكن أن "ناختشوان هي- أرض داج يونس".

وفي الختام نذكر مرة أخرى أن الأسطورة حول كهف أصحاب الكهف، تتشابه مع الملحميتين البطوليتين "الجد كركوت"، و"قير أو غلو"، حيث تتمتع بالطابع التيوركي العام، وبالشهرة الواسعة في أذربيجان وفي آسيا الصغرى والوسطى أيضا. ويمثل كهف أصحاب الكهف- كنزا كاملا، يكشف لنا عن المعلومات غير المعروفة لنا حتى الآن حول الماضي البعيد. وتقف مهمة الدراسة الشاملة له أمام المؤرخين وعلماء الآثار والإثنوجرافيا وممثلي التخصصات الأخرى.



تحقق أمنياتهم في حال سقوط القطرات عليهم. وترتبط كل هذه المعتقدات بالعبادات القديمة قبل الإسلام. كما أن أسباب وجود مثل هذا النوع من أماكن الحج، ترتبط باحتواء جميع الديانات الحديثة لعناصر المعتقدات القديمة. فضلا عن هذا، فإن التيورك كانوا بطبيعتهم منذ القدم يعتقدون في الموطن الأبوي، وينظرون إليه باعتباره نوعا من أنواع مزارات الحج. وفي الوقت نفسه، فإن كهف أصحاب الكهف يمثل واحدة من محطات الإنسان البدائي، وقد جاء اسمه من اللغة العربية. فمن المعروف أن العرب بدأوا في احتلال أذربيجان منذ منتصف القرن السابع، ولم تصل إلينا التسمية السابقة للكهف قبل دخول العرب. ويوجد في الكهف نبع، وتسيل قطرات المياه بين الصخور، وتسوده البرودة، ويبدو أن كل هذه المظاهر قد جذبت البدائيين من البشر. ويشهد اللون الأسود للصخور أن السكان البدائيين ظلوا يشعلون مواقد النار هنا لفترات طويلة من الزمن.

بالقرب من الكهف توجد مقبرة كبيرة قديمة. ويردد الناس



المقدسة لكهف أصحاب الكهف تتكاثر، وهى بالتالى تنبض بالحياة. ونشير إلى أن التيورك المقيمين فى منطقة ألتاي سايان، يتعبدون إلى الجبل، معتقدين أن الجبل هو الأقرب لرب الأرباب جوك تجرى.

ويقوم زوار كهف أصحاب الكهف بتعليق الثمار أو فروع شجر الكلت (Celtis- نوع من الأشجار الورقية دائمة الخضرة) النامية هنا، فوق قبعات الرأس التى يضعونها، أو على ملابس الأطفال، معتقدين أن هذه النباتات تحمل العمر المديد وتحفظ الأطفال من الحسد والأرواح الشريرة. وتربط النساء مزقا من القماش حول فروع الشجيرات، وهن يرددن الأمنيات، وفى حال تحقق الأمنية خلال عام، تعود النساء ثانية وتربطن مزقا أخرى، وتقدمن هبة للمسجد القائم هنا، فى صورة قدر محدد من المال. ومن ليس لديها أطفال، تقوم بربط نموذج للمهد حول فروع الشجيرات، كى يمنحها الله الذرية. ويقوم العديد من الحجاج وهم يلقون أمنياتهم، بالجلوس فى المكان الذى تسيل فيه قطرات المياه بالكهف، معتقدين فى

وتيمور، ويعنى اسم تيمور الحديد، وكلمة خان تعنى- الحاكم، اللقب). وفى أذربيجان المعاصرة كثيرا ما نصادف أسماء: تيمور، تيميرخان، كانترمير، إلخ.. بالإضافة إلى ذلك، وانطلاقا من موضوع الأسطورة، يمكننا افتراض أن لقب الكلب جتمير يتكون من كلمة «getmir» (لا يسير).

وكما أشير أعلاه، فقد أصبح كهف أصحاب الكهف موقعا للتعبد، وصار المسلمون المؤمنون، يذبحون أضاحى الحيوانات لدى قدومهم هنا. وتُعد صخور هذا الكهف ومياهه من المقدسات، ونصادف فى كل مكان بالقرب من المدخل أكوام الحجارة التى جمعها الحجاج، الذين يلقون الصخور فى الوادى السحيق مرددين التعويذة بأن يصيب الحجر الأعداء. وفى منتصف الكهف يقع الحجر الأسود، حيث يضع الحجاج حوله الحصى الصغير، وهم يتلون الأمنيات معتقدين فى تحققها لو التصقت الحصى بالحجر. منذ القدم كان الحجر يمثل الأداة فى الصراع ضد قوى الشر، وقد اكتسب أهمية دينية عبر مراحل وجوده. ويؤكد المؤمنون بالخرافات أن الأحجار



أ. كريمسكى، م. آتاي 5، ج. سنيسارييف 6 وغيرهم من المؤلفين (1؛ 2؛ 3؛ 4؛ 5؛ 6) كما حظى هذا الموضوع بقدر كبير من الاهتمام فى الأدب الأذربيجانى (7) 7.

أصحاب الكهف الذى هو- أكبر الكهوف، قد صار كذلك مادة للحكايات الشعبية التى ظهرت بين الشعوب الناطقة بالتيوركية، والواقعة بالقرب من المدن التركية إيفيس وطرطوس، وفى آسيا الوسطى وأذربيجان. ويعتبر سكان الضواحي والأطراف أصحاب الكهف مكانا مقدسا، ويسمونه «آدجاج». وينطبق على هذا الكهف تماما الوصف المذكور فى القرآن: «وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ...» (17، 18)

فى عام 2001 عثرنا هنا على بقايا الجدران، التى شُيّدت طبقا لآراء المتخصصين، منذ 1600 عاما مضت. وتتطابق هذه الشهود هنا مع الموقع التالى من القرآن: «وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّ عُنْ وَبَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْنَا رُبُوبًا أَلَمْ يَعْلَم بِهَمِ قَوْمِ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا» (18، 21).

ويربط بعض الباحثين تلك الأسطورة حول الكهف بالمسيحية، ويربطها الآخرون بالإسلام. غير أن موضوع الأسطورة وأسماء أبطالها يشهد أنها تعود إلى الأساطير التيوركية القديمة.

نبدأ ببعض الكلمات حول الأسماء. والجزء الأول هو اسم داج يونس- «داج»، وهو اسم ينتشر لدى الشعوب الناطقة بالتيوركية. ويشير شيرباك فى عمله «أوجوز نامه» (سيرة أوجوز)، إلى أن أحد أبناء أوجوز حمل اسم داج. وعند قدماء التيورك فإن كلمة «داج» (جبل) ترمز إلى الذى لا يقهر. وفى أذربيجان حتى يومنا هذا يمكننا مصادفة أسماء: داجلار (اسم الجمع لكلمة «جبل»)، وداجبى (حاكم الجبل)، وداجدلين (مخترق الجبل). أما اسم الوزير- تيميرخان فهو أيضا يعود إلى الأصول التيوركية القديمة (تيمير، وديمير، وتامر،



وصاروا أثرا بعد عين. ومنذ ذلك الحين يقول الناس أن أولئك الفارين سوف يعودون ثانية، ولكن ذلك الأمر سوف يحدث يوم القيامة الرهيب.

وتمثل مختلف الروايات لهذه الأسطورة أساسا لبعض الحكايات الشعبية الأذربيجانية. فتسود أسطورة بين بعض الشعوب الناطقة بالتيوركية، حول الرسول خيزيز إلياس، الذى ارتفع بدوره إلى السماء. وكما يشهد العديد من المراجع الأدبية، فإن الأسطورة المذكورة تتمتع بشهرة واسعة فى صور مختلفة لدى عدد من الشعوب الأخرى أيضا. بالإضافة إلى ذلك، فإن موضوع الكهف والشبان السبعة النائمين بداخله، كان أساسا لعدد 18 سورة من سور القرآن «الكهف»، كما تناولته أعمال: أبو الريحان البيرونى 1، أبو بكر بن خوسروف- الأستاذ 2، أ. كالميكوف 3، ك. تش. نيكيتين 4،



ووضع عصاه فوق قبره. ومنذ ذلك الوقت ويُعرف هذا المكان باسم- جتمير.

انطلق الهاربون إلى الكهف واختبئوا بداخله. ولما أصابهم الإنهاك الشديد، راحوا في النوم عند المدخل مباشرة. وعندما استيقظوا من سباتهم، تخفى تيميرخان في ملابس الراعي، وانطلق إلى المدينة للحصول على الخبز، لكنهم هناك أمسكوا به، لأن النقود التي حملها معه كانت قديمة للغاية. تملكته الدهشة الوزير وحاول الشرح بأنه غادر هذه المدينة بالأمس فقط مع رفاقه، وكى يُجلى الشكوك بصورة نهائية، اصطحب المسكين به إلى بيته. وكان بالبيت عجوز حكى لهم أن وزير داج يونس عاش هنا منذ 300 عاما مضت- وهو جده الأكبر تيميرخان. ومضى حشد المواطنين مسرعين إلى الكهف كي يشاهدوا جماعة المختبئين به. وطلب تيميرخان من المجتمعين الانتظار عند مدخل الكهف حت يقوم بتحذير رفاقه حول قدومهم، ثم دخل بمفرده وأخبر بقية الفارين أنهم راحوا في النوم لمدة 300 عاما. تملك الهلع الفارين وصاروا يتوسلون إلى الله القادر كي يبذل هيبنتهم، فاستمع الله إلى طلبهم، واختفوا

بالقرب من مدينة ناخشوان يقع كهف كبير، مشهور لدى الناس باسم أصحاب الكهف. وحول هذا الكهف تدور الأسطورة، التي تشكلت وقائعها أثناء حكم ملك أسطوري أطلق عليه اسم داج يونس، والذي كان ملحدا يشتهر بالقسوة. وطبقا للرواية، فإن وزير داج يونس المعروف باسم تيميرخان، ومعه ستة (كان عددهم خمسة طبقا لرواية أخرى) من أصدقائه، فروا هاربين من اضطهاد الملك المستبد. وعندما غادروا المدينة صادفوا راعيا مع كلبه. وقص عليه الأصدقاء سبب هروبهم قائلين: «نحن نكره داج يونس ونرفض ادعاءاته على المقام الإلهي. ونعلنها من صميم قؤادنا أنه لا إله إلا الله». قرر الراعي الانضمام إليهم، ومضى جروهم، الذي أُطلق عليه لقب جتمير، يتبع خطى الهاربين. وأخذت الجماعة تحاول طرد جتمير خوفا من كشف أمرهم عند نباحه. وقام الراعي بكسر قائمة من قوائم جتمير، لكنه ظل سائرا يتبعهم. حينئذ كسروا له قائمة ثانية، فهتف الجرو المسكين وهو يئن من الألم بصوت آدمى يقول أنه أيضا لا يستطيع تحمل طغيان المستبد داج يونس. نطق الجرو بما قاله وسقط ميتا. فدفنه الراعي



قادر قدیر زاده

العضو المراسل للأكاديمية القومية للعلوم في أذربيجان،

والأستاذ في العلوم التاريخية

تقدیس كهف أصحاب الكهف وجذوره التاريخية